مجلة كلية الدعوة الإسلامية

العدد التاسع عشر
2002

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1370 من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم 2002 من ميلاد المسيح عليه السلام

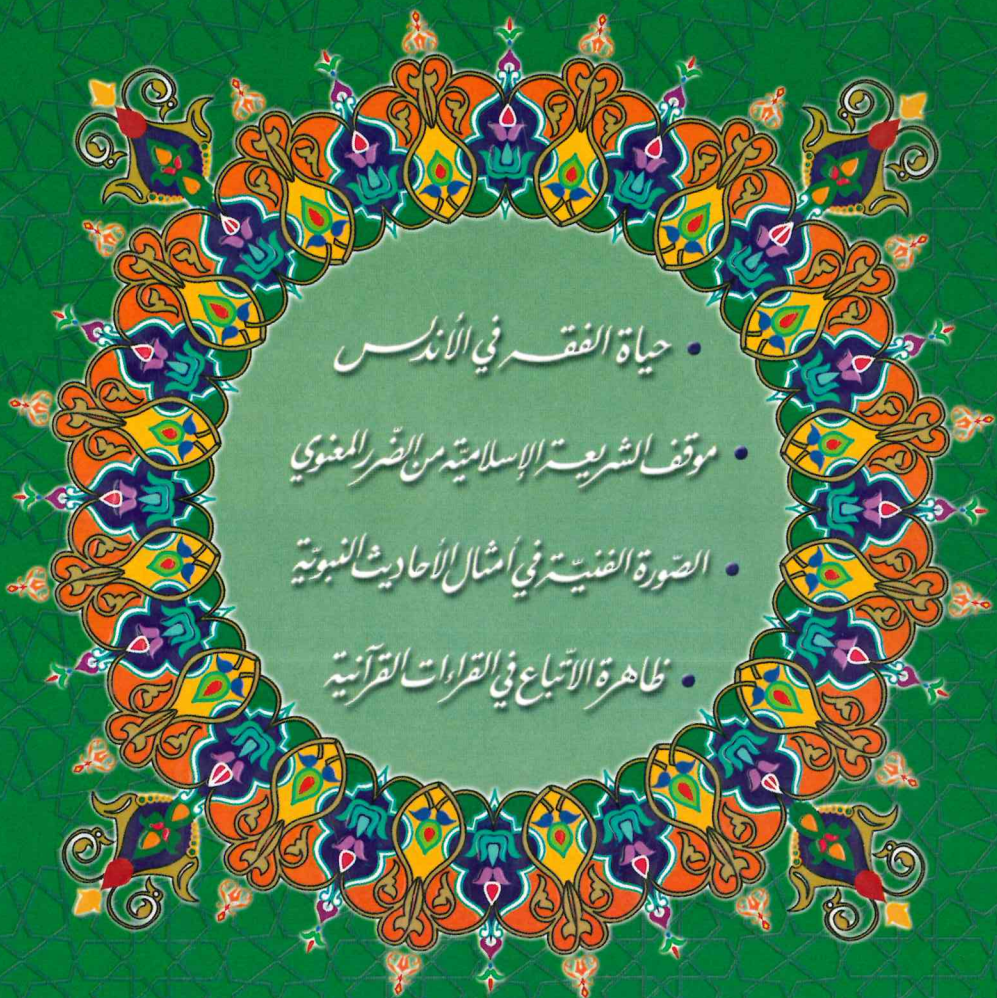

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

العدد التاسع عشر

1370 من وفاة الرسول ﷺ 2002 من ميلاد المسيح عليه السلام

تصدر عن
كلية الدعوة الإسلامية
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى - طرابلس

هَيْئَةُ ٱلتَّحْرِير

الأستاذ :	المختار أحمد ديرة	عَمِيد كُلِّيَّة ٱلدَّعْوَة
الدكتور :	محمد فتح الله الزيادي	رئيس قسم الدراسات العليا بالكلية
الدكتور :	السائح علي حسين	رئيس قسم الدراسات القرآنية بالكلية
الدكتور :	عبد الحميد عبد الله الهرامة	رئيس قسم اللغة العربية بالكلية
الدكتور :	مسعود عبد الله الوازني	رئيس قسم العلوم العامة بالكلية

ٱلْهَيْئَةُ الِاسْتِشَارِيَّة

الأستاذ الدكتور : محمد أحمد الشريف

الأستاذ الدكتور : عبد الرحمن عطية

الأستاذ الدكتور : أمين توفيق الطيبي

الأستاذ الدكتور : عبد الحكيم الأربد

الأستاذ : الطيب عبد الوهاب النعاس

المحتويات

الافتتاحية ..... التحرير 7

ظاهرة الاتباع في القراءات القرآنية ..... د. محمد السيد علي بلاسي 10

دلالات التصريف القرآني
عند الخطيب الإسكافي من خلال كتابه ..... د. عبد الله محمد النقراط 40

رحلة الفقه في الأندلس ..... د. عبد السلام محمد أبو سعد 63

موقف الشريعة الإسلامية من الضرر المعنوي ..... د. مصطفى مصباح شليبك 92

القراءات وأثرها في تنوُّع الأحكام الشرعية ..... د. حسن مسعود الطوير 107

حكم الشرع في التعامل بالدين ..... أ. خالد العربي الفرجاني 132

الشواهد المخالفة للضوابط النحوية ..... د. بشير زقلام 152

التقييد بضمير الفصل عند النحويين ..... د. محمد شفيق عبد المنعم 170

اللغة العربية والعولمة ..... د. علي أبو القاسم عون 184

نصوص أندلسية في الجدل الديني ..... د. عبد الله محمد الزيات 213

من أعلام مدينة طرابلس الغرباء المنسيين ..... أ. علي الصادق حُسنَين 241

خلاصة التجربة الخلقية في فكر ابن حزم ..... د. عمر أبو القاسم غلام 253

نقد الاستشارق ومنهجه ..... صلاح الجابري 260

الإمام الماوردي رائد القانون العام ..... د. نصر الدين مصباح القاضي 291
ملاحظات على مقدمة كتاب شجرة المعارف
والأحوال للعزّ بن عبد السلام ..... د. محمد مصطفى بالحاج 314
الإعلام والهيمنة الثقافية (المغرب العربي نموذجاً) ..... أ. عبد الباسط دردور 324
أقصى مدة الحمل ..... د. جمعة محمد فرج بشير 344
معجم الحرب والجهاد في الأندلس
من خلال النصوص ..... د. رمضان سعد القماطي 371
القصيدة المنفرجة لابن النحوي التوزري ..... د. زهير غازي زاهد 399
جهود العلامة الشيخ المجاهد الطاهر
أحمد الزاوي ..... د. هاشم بن المهدي الشريف الوداني 411
الصورة الفنية في أمثال الأحاديث النبوية ..... د. عهود عبد الواحد العكيلي 425

● **معارف اسلامية**

إفتاء ..... الدكتور زياد الدين الأيوبي 470
إفحام ..... الدكتور محمد شيخاني 475
أفغانستان ..... الدكتور مسعود عبد اللّه الوازني 479
إفراد، وأفراد ..... الدكتور ثامر ناصر حسين العبيدي 482
إفريقية ..... الدكتور مسعود عبد اللّه الوازني 488
إفريقيا ..... الدكتور مفتاح محمد دياب 491

أ. عبدالباسط دردور

لا يختلف اثنان فيما تتميز به وسائل الإعلام الحديثة من قدرة كبيرة وغير مسبوقة، على نقل المعلومات بسرعة فائقة وعلى أوسع نطاق، من الظواهر بالغة الأهمية التي تؤثر سلباً أو إيجاباً على الثقافات الإنسانية والهويات الحضارية المميزة لمختلف المجتمعات البشرية في جميع أنحاء الدنيا، حتى على الدول والمجتمعات المتقدمة صناعياً واقتصادياً كاليابان وأوروبا وأمريكا الشمالية[1]

(1) في فرنسا تبرز هذه المسألة حيث يتسع الاحتجاج على الأفلام الأمريكية وملاهي ديزني قرب باريس، وتلح الحكومة الفرنسية على فرض ضرائب على الإنتاج الثقافي الوارد من الولايات المتحدة الأمريكية؛ وفي بريطانيا هزت حادثةُ إقدام طفلين على قتل طفل ثالث، حيث جاء سيناريو الجريمة مطابقاً لسيناريو أحد أفلام الرعب الأمريكية. ويمكن الاستشهاد بتجارب وممارسات المنظمات المناهضة للإمبريالية الثقافية؛ إذ تنشط داخل أمريكا وأمريكا اللاتينية منظمة (فير)، حيث تنشد الدقة والنزاهة في التغطية الصحفية، وتتولى مراقبة التحيز في =

ملحوظة: تغيّر الأرقام إلى الأرقام العربية، وبذلك فهو أيضاً يشكّل عبئاً على بلدان العالم المتخلفة صناعياً واقتصادياً، لأن إمكانياتها العلمية والصناعية والتكنولوجية المتواضعة تجعلها من الأقطار المتلقية للموجات المتدافعة المتلاحقة من المعلومات المتدفقة عليها من الدول الصناعية المنتجة، والموجّهة لصناعة الإعلام العالمية، حاملة في ثناياها ضروباً من القيم الثقافية والمناهج السلوكية المغايرة، بل الهدامة، لما عند البلدان النامية ـ من قيم ثقافية وحضارية خاصة ومميزة[2] ـ، علماً أن سوق الإعلام محتكر بشكل كلي تقريباً من قبل أربع وكالات كلها غربية[3]، وكل إذاعات وتلفزيونات وصحف العالم مشتركة بهذه الوكالات الأربع[4]، وهذه الدول المسيطرة على هذه الوكالات الإعلامية تمثل عُشْرَ سكان العالم، وهم الذين يهددون اليوم تسعة الأعشار الأخرى من

= أداء وسائل الإعلام الأمريكية، وتنتقد بالوثائق تشويهات إمبريالية الإعلام وتزييفها للوقائع والعمليات والحقائق، وللمنظمة مجلة خاصة دورية اسمها (تشاسكي)، (انظر) محمد سعيد مضية، إمبريالية الإعلام، وحدة الثقافة العربية مرجع سابق، ص 220، 221. حول الخلاف الأوروبي الأمريكي على السينما (راجع) نور الدين الفريضي، مطالب أوروبية باستبعاد السينما من الجات، العالم اليوم 19/ 10/ 1993. ومصطفى مرجان، اتفاق على الزراعة والطيران وخلاف على التلفزيون والثقافة، العالم اليوم 11 ـ 12/ 12/ 1993.

(2) في هذا السياق يأتي تقرير السيدة (أنا ماريا ديكوك) المليء بالأرقام والبيانات، في إطار الاحتفال بالعيد الخمسين لمنظمة اليونيسكو، قالت فيه إن أثرياء المعلومات استخدموا وسائل الإعلام الحديثة في جعل شعوب الدول النامية تحتقر تاريخها وقيمها وتراث بلادها في إشارة إلى أن الشبكات الفضائية أصبحت حكراً على الأقوياء اقتصادياً وسياسياً، في حين أن ثلاثة أرباع سكان العالم يعيشون في ريف مظلم، بعيداً عن النور والكمبيوتر ويعانون عدم توافر الرعاية الصحية (راجع) الثقافة تفتح أبواب الدول أمام الغزو الغربي. الشعب 14/ 6/ 96.

(3) وهي: أسوشييتد بريس ويونايتد بريس (الولايات المتحدة الأمريكية)، وورويتر (بريطانيا)، وفرانس بريس (فرنسا). (راجع) عن وكالات الأنباء العالمية، د. عبد اللطيف حمزة، الدعاية والإعلام، ص92 ـ 95.

(4) كل وكالات الأنباء العربية حتى المؤممة منها، تعتمد اعتماداً كاملاً على تلك الوكالات العالمية، ليس فقط عن العالم الأجنبي بل حتى عن بعضها عن بعض في ذواتها وخصوصياتها، وبمعنى آخر تحول من مصدر للأخبار إلى مستهلك للأخبار. (انظر): سيرج لاتوس، تغريب العالم، ص35. (انظر أيضاً): مدثر عبد الرحيم الطيب، وسائل الإعلام الحديثة والهوية الثقافية في البلاد العربية، دراسات إفريقية، ع: 6 (1990)، ص14. (انظر أيضاً): محمد سيد محمد، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، ص93.

البشرية، ويهيمنون على العالم عن طريق ما يسمى اليوم بـ«النظام العالمي الجديد» الذي يعني في جوهره إعادة تقسيم مناطق النفوذ في العالم بعد انهيار إمبراطورية ما كان يسمى (الاتحاد السوفييتي) سابقاً، وفرض الهيمنة الإمبريالية من جديد على نطاق واسع وبوسائل أكثر تطوراً وملاءمة للعصر، وخاصة في مجال الاتصال الذي وجدت فيه القوى الإمبريالية ضالتها في الغزو الإعلامي[5]، لتتمكن من الهيمنة على الشعوب المستضعفة فكرياً وثقافياً[6]، مثلما تهيمن عليها اقتصادياً وسياسياً[7]، حيث تسمح هذه الوسيلة بمخاطبة الشعوب فرداً فرداً وبوتيرة يومية منتظمة، مع صياغة المعلومات صياغة نمطية تجنح للتبسيط الذي يضمن قبولها وفهمها بين الملايين من المشاهدين والسامعين والقارئين[8]، وبأساليب متنوعة

---

(5) تشكل إمبريالية الإعلام إحدى دعائم النظام الاقتصادي والسياسي والثقافي للدول الإمبريالية، وتقوم علاقة انسجام تام بين صناعة الإعلام ومختلف المؤسسات المهيمنة في المجتمع الرأسمالي، ويتبادل مع قطاعات الاقتصاد والسياسة المنافع، وأحياناً يندمج بها وتندمج المؤسسات الإعلامية بالمؤسسات الصناعية أو المالية باحتكارات صنع السلاح، فشبكة (أن.بي.سي) على سبيل المثال مملوكة لاحتكار السلاح جنرال إلكتريك أكثر جنرالات الحرب نفوذاً وعنوة..، وأثناء حرب الخليج وقفت الشبكة التلفيزيونية بجانب الحرب وأجرت تغطية إعلامية للعمليات الحربية أبرزت خلالها دقة إصابة صواريخها وقنابلها؛ أما الشبكتان التلفزيونيتان (إيه.بي.سي) و(سي.بي.أس) فترتبطان باحتكارات أخرى من المجتمع الصناعي ـ العسكري، وترتبط صحيفة نيويورك تايمز بمؤسسات نووية، وذلك يضعها في طليعة المحرضين على التسلح النووي، مع العلم أن هذه المؤسسات الإعلامية وغيرها من كبريات الصحف ودور الطباعة والنشر، يمتلكها يهود أو على الأقل يسيطرون عليها، وهي أداة من أدوات التحالف الفكري الغربي الصهيوني. (راجع) محمد سعيد مضية، مرجع سابق، ص 210، 211. (راجع أيضاً) د. محمد الزيادي، السيطرة الصهيونية على مختلف وسائل الإعلام العالمي، ندوة الدين والتدافع الحضاري، ص325، 326.

(6) لذلك نجد أن فرنسا مثلاً، قد أنشأت مصلحة لتوزيع الأخبار مجاناً للإذاعات والتلفزيونات الإفريقية، وذلك بواسطة الأقمار الصناعية، فهي تقدم كل يوم عشر دقائق من الأفلام الوثائقية والأخبار الدولية، كما أنها ترسل أيضاً (5200) ساعة سنوياً من البرامج المجانية، كما توزع الأفلام الفرنسية وتمول 80 من الإنتاج السينمائي لدول إفريقية الناطقة بالفرنسية. (راجع): لاتوش، مرجع سابق، ص36، 37.

(7) (انظر): أحمد منور، الغزو الإعلامي الغربي عبر البث التلفزيوني عن طريق الأقمار الصناعية، أبحاث ندوة عمان ـ الأردن، 10/ 12 ديسمبر 1993، ص192.

(8) ذلك لأن وسائل الإعلام أدوات صناعية يستهدف أصحابها ـ مثل جميع أرباب الصنائع ـ ترويج منتجاتهم وبيعها في أوسع الأسواق وعلى أكبر نطاق.

تتراوح بين إذاعة الأخبار، وتغطية الأحداث عبر العالم بسرعة مذهلة بالصوت والصورة، وعرض آخر تطورات العلم والاختراعات، وبين مختلف أنواع التسالي والرياضات والألعاب، وهو الذي يكرس في الأذهان والنفوس النموذج الغربي في مختلف المجالات، سواء الفنية أو الفكرية أو الصناعية[9]، وهذا التدفق الهائل من الأخبار والمعلومات مع مرور الوقت يمكنه أن يتحكم في رغبات الناس المستقبلين له، وحاجياتهم وأشكال سلوكهم وعقلياتهم وأنظمة التربية الخاصة بهم، وكذلك أنماط الحياة[10]، وأخيراً تستطيع هذه أن تسلب إرادة الشعوب وتقضي على روح المقاومة لديها للنموذج الغربي الرأسمالي، فتضمن إثر ذلك الهيمنة الكاملة على العالم، دون الحاجة إلى سلاح نووي أو جيوش جرارة[11].

ولذلك استثمرت إمبريالية الإعلام منجزات الثورة العلمية ـ التكنولوجية في الأبحاث الإلكترونية، لإعطاء دفعة لعمل شبكات التلفزة على الصعيد الكوني، وبات التلفزيون في أنحاء العالم أداة التوسع الأيديولوجي والاقتصادي والسياسي للإمبريالية، ونشر الوعي الزائف على صعيد العالم بأسره، وتطبيع شعوب العالم مع علاقات التبعية للإمبريالية؛ فالتلفزة تتعامل بالصورة التي تؤثر مباشرة على نفسية المتلقي ولا تتفاعل مع عقله، شأن الكلمة وللصورة مفعول مضلل مزور؛ إذ يمكن للصورة الجزئية إعطاء تعبير صورة شاملة؛ وللنماذج النمطية للقوة والمراوغة تأثيرها في نشر عبادة القوة و(الفهلوة)؛ والتلفزة جهاز جذاب للأسرة في ساعات المساء التي تعقب العمل اليومي حيث النشاط الذهني يكون في حده الأدنى، فتتسلل قيم المسلسلات ورسالاتها الثقافية إلى النفسية الاجتماعية، وفي الساعات الحية يجري تعمد بث أفلام الجنس والمخدرات والجريمة؛ لإعطاء جرعة تعوض الحرمان والبؤس المنتشرين في المجتمعات[12].

---

(9) (انظر): أحمد منور، مرجع سابق، ص192.

(10) (انظر): لاتوش، مرجع سابق، ص36. إن الدعاية الإعلامية الغربية تتسرب إلى الشعوب المستقبلة بشكل مخادع وماكر يصعب مقاومتها، فهي وإن كانت تشهد على الحيوية الفياضة للمجتمعات المتطورة، فإنها تخنق كل محاولة ثقافية خلاقة لدى المستقبلين السلبيين للرسالة.

(11) (انظر): أحمد منور، مرجع سابق، ص193. (انظر أيضاً): لاتوش، مرجع سابق، ص36.

(12) محمد سعيد مضية، مقاومة إمبريالية الإعلام، مرجع سابق، ص112.

إن الموقع الاستراتيجي المتميز لمنطقة المغرب العربي وقربه من أوروبا الغربية، جعل منها منطقة مستهدفة للغزو الإعلامي بدرجة أكبر من غيره من المناطق الأخرى العربية والإفريقية، ولذلك فإن القوى الاستعمارية التقليدية منها، تتزاحم على وضع أقمار صناعية للبث التلفزيوني تغطي هذه المنطقة، وخاصة فرنسا وإيطاليا وإسبانيا، ثم بريطانيا وألمانيا..[13] ما يمثله من تهديد على المدى (البعيد) لكيان هذه المنطقة، ثقافياً وحضارياً وروحياً، وحتى اقتصادياً وسياسياً.

ففي عام 1995 كان «ما لا يقل عن عشرة أقمار صناعية أوروبية للبث التلفزيوني تغطي كلها منطقة المغرب العربي...، وفي مقدور القمر الصناعي الواحد أن يبث برامج خمس قنوات تلفزيونية في آن واحد على الأقل، ويبث بعضها ست عشرة قناة في آن واحد، وبعدد من اللغات يمكن أن يصل إلى ست عشرة لغة للبرنامج الواحد في القناة الواحدة، بالإضافة إلى عشرات المحطات الإذاعية المسموعة التي تبث بدورها عن طريق الأقمار ذاتها»[14].

ونحن الآن في مطلع القرن الواحد والعشرين، ومع التطورات اليومية والمذهلة الحاصلة في هذا المجال، يمكننا أن نطلق العنان لتصورنا عن مدى الطوفان الإعلامي المسلط على هذه المنطقة، بمختلف الأشكال والألوان واللغات، مع ما يحمل من أفكار وقيم وعادات وتقاليد وسلوكيات تتناقض في الكثير منها مع ثقافة المشاهد المغاربي، الأمر الذي يعني أن المشاهد المغاربي يتعرّض يومياً إلى عملية غسيل دماغ متواصلة، تشكل تهديداً حقيقياً لمقومات شخصيته وتنذر بذوبانه كلياً في كيان الآخر، في الوقت نفسه نجد أن التلفزيون الوطني المغاربي فقد القدرة على اجتذاب المشاهد، لضعف البرمجة وقلة الإنتاج السمعي البصري المحلي، وتخلّف خطابه المبني على أسلوب التعتيم

---

(13) إحصائية منظمة اليونسكو عن الوطن العربي تشير إلى أن الجزائر وتونس تستوردان نصف إجمالي البث التلفزيوني من البرامج الأجنبية، وثيقة عمل المؤتمر الدولي الحكومي للسياسات الإعلامية في الدول العربية 1987، ص25، 26.

(14) أحمد منور، مرجع سابق، ص193.

والتمييع والتفاهة، فضلاً عن كونه إعلام تزكية بحكم ارتباطه بالنظم الحاكمة.

وتعتبر فرنسا من الدول السبّاقة في مجال البث التلفزيوني المباشر الذي يستهدف منطقة المغرب العربي، حيث نالت حصة الأسد منذ مؤتمر جنيف سنة 1977، الذي نظّم عملية الاستفادة من استغلال الفضاء في ميدان الاتصالات بمساعدة الدول الأوروبية، في إطار مشروع أوروبي مشترك يهدف إلى الوقوف في وجه التكنولوجيا اليابانية، وقد عملت فرنسا قبل هذه المرحلة على ربط بلدان المغرب العربي باتفاقيات تعاون ثقافي وإعلامي، بعضها جاء ضمن المفاوضات على الاستقلال كما هو الشأن بالنسبة للجزائر[15].

ففي هذا الصدد كانت اتفاقية ناصر (يوليه) 1967ف من أقدم الاتفاقيات وأهمها، تمت بين الإذاعة والتلفزة التونسية من جهة وهيئة الإذاعة والتلفزة الفرنسية من جهة أخرى، وقد عرفت هذه الاتفاقية تطوراً نوعياً متميزاً منذ 1970ف، حين تم الربط المباشر بين برامج القناة الفرنسية الثانية والقناة الوطنية التونسية، وقد توسع النقل ليشمل برامج مختلفة من القنوات الفرنسية الثلاث[16].

أما المغرب فتجسدت الاتفاقيات بينها وبين فرنسا في إنشاء قناة مغربية فرنسية أطلق عليها (N2) أو القناة الثانية المغربية (1989ف)، وتتلقى هذه القناة دعماً مالياً من فرنسا يبلغ سنوياً نصف ميزانيتها[17]، علاوة على ذلك فإن القسم الصحفي في القنصلية الأمريكية في الدار البيضاء ينجز يومياً ثمانين متراً من القصاصات، يوزعها مجاناً على مختلف الجرائد المغربية، وفي موازاة ذلك يعد يومياً شرائط يوزعها على القناة التلفزيونية الرسمية الثانية، وتبث هذه الأخبار مصحوبة بالتعليق! وهكذا يستطيع المتحكم في المعلومات والصور أن يفرض رؤيته كما يريد[18].

---

(15) (انظر): بن يوسف بن خدة، اتفاقيات إيفيان، ص893 (انظر أيضاً): أحمد منور، مرجع سابق، ص194.

(16) (انظر): أحمد منور، مرجع سابق، ص195.

(17) (انظر): أحمد منور، المرجع السابق، ص195.

(18) (انظر): الإعلام والأمن الثقافي العربي (حلقة نقاش)، المستقبل العربي، ع192 (1995)، ص87.

كما عقدت الجزائر العديد من الاتفاقيات بهذا الصدد وخاصة في فترة الثمانينيّات، فترة الانفتاح السياسي والاقتصادي، إلا أنه من الناحية الرسمية لم يقع أي انفتاح حقيقي بربط القناة الوطنية الجزائرية مباشرة بالقنوات الفرنسية كما هو الحال في تونس أو المغرب، «غير أن التطورات التي حدثت في الجزائر ابتداءً من منتصف الثمانينيّات فيما يخص التقاط برامج التلفزة الفرنسية فاق كل التوقعات، وتجاوز كل ما يمكن أن تتضمنه أية اتفاقيات تعاون رسمية، لأن الاتفاقيات بين الدول تخضع عادة للبحث المعمق من الطرفين، وتراعي مصالحهما، ونظراً لغياب أي اتفاق رسمي بهذا الشأن من جهة، وغياب أي قانون للدولة الجزائرية[19] ينظم ويراقب عملية استيراد أجهزة استقبال برامج التلفزة الأجنبية من جهة أخرى، فوقع ما يشبه انتشار الوباء، وعمت ظاهرة الهوائيات المقعّرة، وأصبحت تنتشر يومياً ويزداد عددها على أسقف المنازل والعمارات كما ينتشر نبات الفطر، وعمت الظاهرة المدن والقرى والأرياف وبلغت أعماق الصحراء، كما مسّت كل الطبقات الاجتماعية بلا استثناء[20] بما

---

(19) يعتبر الفراغ القانوني في التشريع الجزائري الثغرة الكبيرة التي يتسرب منها الغزو الإعلامي الأجنبي ويتكرّس في حياة المواطنين كحقيقة يومية، ولذلك جاء تصريح وزير الثقافة كنوع من تقرير واقع يعاش (معيش) وتهوين للظاهرة، حين قال: «إن القنوات الأجنبية دخلت حياتنا على نطاق واسع وأصبحت قنوات وطنية»، علماً أن هذا الفراغ القانوني لا يقتصر على الجزائر وحدها، بل تشترك فيه الدول المغاربية الأخرى بمقادير متفاوتة، باستثناء ليبيا التي تعد البلد المغاربي الوحيد الذي يمنع فيه منعاً باتاً استيراد أو استعمال الأجهزة الخاصة لاستقبال القنوات التلفزيونية الأجنبية. (إلا أن الوضع كما يبدو لي قد تغير في السنوات الأخيرة، في اتجاه عدم منع المواطنين من اقتناء هذه الهوائيات) (انظر): أحمد منور، مرجع سابق، ص197، 198..

(20) غير ما هو حاصل في باقي الأقطار المغاربية خصوصاً والوطن العربي عموماً، أن (المستفيدين) أو المستهلكين للبرامج الأجنبية الطبقة الميسورة من المثقفين والتكنوقراطيين، ورجال الأعمال والقطاعات الحضرية الثرية أو الآخذة في الثراء، إلا أن القاسم المشترك أن معظم الموجهين لوسائل الإعلام تلقوا تعليمهم وتدريبهم بطرق مباشرة أو غير مباشرة من مصادر غربية، وبذلك فإن وسائل الإعلام الموكلة إليهم تجنح لخدمة ذواتهم ومصالح القطاعات الاجتماعية التي ينتسبون إليها أصلاً أو تطلعاً: الحضرية بدلاً من الريفية، الثرية أو الساعية إلى الثراء بدلاً من الفقيرة، المتسلخة من الالتزام بقيم مجتمعها والسعي لتطويرها، المائلة للإعجاب السطحي بالغرب والافتتان المنبهر بقيمه وحضارته دون تمييز أو تمحيص. (انظر): أحمد منور، مرجع سابق، ص195، 197. (انظر أيضاً): مدثر عبد الرحيم الطيب، مرجع سابق، ص10.

في ذلك تلك الفئات التي تأتي في آخر درجات السلم الاجتماعي»[21].

إن الحقيقة المرة التي لا مناص من ذكرها في إطار هذا الموضوع، أنه إذا كانت الستارات الحديدية أو الخرسانية ليست بقادرة على مقاومة بث البرامج الأجنبية مع ظهور الطفرة التكنولوجية في وسائل الإعلام الحديثة، فإن عملية الغزو الثقافي الإعلامي كانت تمارس عملها بكل اقتدار ـ منذ دخول التلفزيون البلاد ـ من خلال قنوات التلفزيون الوطنية التي يفترض فيها أن تنشط الحياة الثقافية، وتكون الحريصة على ثقافة وتقاليد شعوبها من المسخ والذوبان في ثقافة الغير الذي يختلف عنها شكلاً ومضموناً، فظلت وسيلة فعالة لنشر الثقافة الغربية على حساب كل ما استعادته الثورات من قيم، فراحت هذه القنوات تعرض الأفلام الأمريكية والإيطالية[22] مدبلجة باللغة الفرنسية، ولم تحاول

---

(21) أحمد منور، مرجع سابق، ص196. إذا اعتمدنا بعض الدراسات التي تقول: إن عدد المتلقين للبرامج الأجنبية عن طريق الهوائيات المقعرة في الجزائر، في الفترة ما بين 1985 (وهي السنة التي سمح فيها باستيراد أجهزة استقبال البث عن طريق الأقمار الصناعية، علماً أنها أصبحت تصنع داخل الجزائر حالياً) وسنة 1990 بحوالي خمسة ملايين من السكان، تكون النتيجة المنطقية أن أزيد من نصف سكان الجزائر يتلقون البرامج الأجنبية سنة 2000، وهو رقم خطير بجميع المقاييس، ويمكن أن يستغل من أية جهة أجنبية في توجيه الرأي العام الداخلي للبلد، كما يمكن أن يؤثر بشكل مباشر على أمنه واستقراره، ولا أستبعد أن ما مرت به الجزائر من محنة خلال هذه الفترة له علاقة من قريب أو من بعيد بالبث الإعلامي الغربي، ناهيك عن التأثيرات السلبية الكثيرة التي يتركها على الأفكار واللغة والأخلاق والدين والهوية القومية.

(22) ينقسم العالم بالنسبة إلى نشر الأفلام السينمائية إلى ثلاثة مذاهب: **1 ـ المذهب الأمريكي** الذي يرى فيه السينما أداة من أدوات التسلية للمشاهد، والربح للمنتج، ولذلك يعنى العناية كلها بالروايات البوليسية ويصنع من المجرمين أبطالاً، ويؤثر بذل في نفوس الشباب أسوأ تأثير ـ علماً أن صناعة السينما والتلفزيون الأمريكية هي ثانية أكبر الصناعات التصديرية بعد الطيران، وأن مبيعاتها في دول العالم تزيد على ما تحققه مبيعات الأسلحة والسيارات. **2 ـ المذهب السوفييتي** عند أصحاب هذا المبدأ السينما واسطة للثقافة وفن ديموقراطي وشعبي وظيفته التعبير عن أفكار الشعب وآرائه وعواطفه ومشاعره ورغباته، والدولة في هذا النظام هي التي تفرض على الفنانين موضوعات خاصة يعرضونها على الشاشة. **3 ـ المذهب الذي يجمع بين المذهبين السابقين**، فلا هو بالمتهافت على الربح واجتذاب الجماهير، ولا هو بالمتزمت الذي يحصر جهده في الأمور الجدية والثقافية والإعلامية التي ينفر الشعب من الكثير منها، والأمثلة على هذا المذهب الأخير كثيرة في الأفلام السينمائية التي تنتجها البلاد الآسيوية والإفريقية. (انظر): د. عبد اللطيف حمزة، الإعلام والدعاية، ص68.

المديرية العامة للتلفزة تشغيل استوديوهات الدبلجة، وحتى الرسوم المتحركة الموجهة للأطفال[23] فإن معظمها كان يعرض مدبلجاً بالفرنسية ومعبراً عن فكر لا علاقة له بثقافة مجتمعنا[24] وخاصة أفلام سهرة الخميس التي يأتي بعدها يوم عطلة مدفوعة الأجر هي (الجمعة) على الرغم ما لهذه الليلة من قداسة عند المسلمين؛ تعرض فيها أفلام قلّما يتدخل فيها المقص الأخلاقي[25] حيث نجد أغلب الأفلام والمسلسلات لا تخرج على الإبهار المعتاد من صنع الأفلام المصورة في هوليود، فيها الجمال والأناقة وعطور تكاد تخرج من الشاشة لتخدّر المتفرجين، وهناك أيضاً جنس وعنف وجريمة وثراء سريع، وأموال سهلة، ومن خلال سيناريو محبوك وحوار سريع الإيقاع، يجد المتفرج أمامه أنماطاً سلوكية جذابة ومغرية، فالمرأة العصرية مثلاً يعتمد جزء أساسي من عصريتها على تلاحق الموضة المتجددة، وخبراء الأزياء يَبْدون بأهمية علماء الطاقة النووية، فالأزياء لها أسرار تستحق التجسس وأجهزة الأمن وجمع المعلومات ورحلات ومطاردات، وهناك الجنس أيضاً، ولكن أي نوع من الجنس وفي أي إطار؟ الولد يشتهي زوجة أخيه، والأب يرافق زوجة ابنه.. وهناك طموح ونجاح، ولكن الطموح محوره المال، والنجاح قيمة مستقلة بذاتها بصرف النظر عن المشروعية والارتباط بمجتمع، نجاح له طريق غير مضمون هو العمل المنتج، وطريق أسهل هو الانفصال عن القيم واختصار الطريق من خلال الجريمة أو الخيانة الزوجية، أو التجسس داخل الأسرة الواحدة، أو الحمل غير المربوط بزواج.. إلخ.

---

(23) عندما نقارن ثقافة الطفل التقليدية وثقافته الحديثة التي يقدمها له الإعلام، نجد أن الطفل فيما مضى بوسعه أن ينشئ عبر الخرافة المروية أو المكتوبة عالماً متخيلاً، يرسم أحداثه بخياله، وذلك ينمي لديه ملكة الخلق والإبداع والتعبير، أما الآن فأصبح هذا العالم يُقَدَّم له جاهزاً من خلال صور تئد في الطفل المتلقي ملكة الخلق والإبداع، حول الموضوع راجع: التلفزيون والطفل والمجتمع (ندوة)، الشعب، ع7864، ص7.

(24) (انظر): د. محمد العربي الزبيري، المؤامرة الكبرى أو إجهاض ثورة، ص94.

(25) (انظر): تيطواني الحاج، تلفزيون يوم الخميس وما أدراك ما يوم الخميس، الوحدة، ع364. جوان 1988 ص29.

هذه الأفلام الغربية سواء من نوع رعاة البقر أو البوليسية أو حتى تلك التي تعالج موضوعات اجتماعية[26] لها تأثير سيئ على النشء في بلادنا بحيث صرنا نشاهد في شوارعنا وفي سائر مؤسساتنا الوطنية كثيراً من الممارسات الملتقطة من تلك الأفلام[27]، ومعظمها مخل بالأخلاق ومحفز على ارتكاب الجرائم بمختلف أنواعها[28]، أما الأفلام والمسلسلات العربية المصرية فهي تعالج موضوعات غرامية، كما أنها من الدرجة الثالثة أو الرابعة من الإنتاج القديم، عادة عمره أكثر من 30 سنة أو 40 سنة من إنتاجه، يعكس قيماً تجاوزها الزمن ومواقف اجتماعية لم تعد من العصر في شيء، على الرغم من وجود إنتاج فني عربي في مجالات مختلفة جديرة بالاحترام، وتسد حاجة المواطن العربي الثقافية والفكرية.

وبالموازاة مع التلفزيونات الوطنية، يأتي دور السينما[29] ومحلات

---

(26) إن نجاح هذه الأعمال لا يرجع في حقيقة الأمر إلى مقاييس فنية، حيث إن كل هذه الأعمال لا تصمد أمام التحليل الدرامي المنهجي والموضوعي، بل كلها تعتمد على الإبهار الإنتاجي ودقة الصنعة، وتخفي وراء هذا تلفيقاً درامياً فاضحاً وأخطاء لا تخفى حتى على طالب بالسنوات الأولى في كلية الفنون.

(27) على سبيل المثال مسلسل دالاس (عرض بالجزائر والمغرب سنة 1985)، حيث كانت الشوارع تخلو من المارة أثناء عرض هذا المسلسل الأمريكي، وقد ترك بصماته على سلوك الناس في الملبس والمأكل إلى درجة تماهي بعض النساء مع بطلات المسلسل في طريقة الشرب، والطرافة أنهن يحركن كأس الشاي على طريقة تحريك شخصيات المسلسل كؤوس الويسكي!.. (انظر): سيرج لاتوش، مرجع سابق، ص7. (انظر أيضاً): المستقبل العربي، الإعلام والأمن الثقافي العربي، ع192، ص93.

(28) في السوق الغربية التي تبيع هذا النوع من الأفلام والمسلسلات نجد ألواناً أخرى من الثقافة الجيدة والفنون الرفيعة، ونجد ألواناً رائعة من البرامج الوثائقية والأفلام العلمية والأفلام التاريخية والدراما الراقية، لا تقدم هذه النماذج الساقطة ولا تمتع المشاهد إمتاعاً فارغاً، بل تثري عقله وتفتح بصيرته وتعمق وجدانه، وهي أولى بالاستيراد من هذه الأفلام والمسلسلات، لكن وللأسف الشديد يبدو أن السادة المنوط بهم اختيار الأعمال الدرامية الأجنبية وشرائها لتلفزتهم الوطنية لا يعرفون أن هناك أعمالاً درامية جيدة وممتعة، أو يعرفون ولكنهم يفضلون، بشكل شخصي أو لأسباب لا نعلمها هذا النوع من الإنتاج الذي يقدم لنا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(29) مما لا شك فيه أن السينما مسؤولة في أكثر بلاد العالم الغربي المتمدن، عن انحراف الأطفال وسوء سلوك الشباب، وقد أجريت العديد من التجارب التي أثبتت صدق هذه الحقائق بالأرقام.. (انظر): د. عبد اللطيف حمزة، الإعلام والدعاية، ص67.

الفيديو، لتكمل خيوط المؤامرة وحلقاتها في غياب الحسيب الرقيب، وهي أفلام فارغة المضمون، أو بالأحرى ذات مضمون موجه بشكل معين، وهي في العموم لا تمجد الإنسان، بل تتخذ من العنف والقسوة والرعب[30] والتكالب على المال موضوعات لها، ويخطئ من يقول إن هذه الأفلام أنتجت خصيصاً للأمريكيين أو الفرنسيين[31]... إلخ، بل هي موجهة لتأدية الهدف المرسوم لها، وهي تصدير أنماط اقتصادية وثقافية مغايرة للنماذج العاملة في الدول المتقدمة فهي يراد لها أن تظل تابعة متخلفة. فلا تصدر نماذج زراعية وصناعية وإدارية وعلمية وثقافية، تضع بمتناول الشعوب النامية جوهر حضارة الغرب ومنهجيته العلمية على وجه الخصوص، ذلك أن هذه البلدان يراد لها أن تظل تدور في فلك التخلف والتبعية، وتكبل ذهنيتها بالخرافة والانتقائية والتسطيح، فالإعلام بهذه الرسالة أداة تطبيع مع التخلف والتبعية.

ومع ذلك فإن المسؤولين عن الثقافة غير شاعرين بالمسؤولية التي أنيطت بهم[32]، ففضلوا تسخير التلفزيون والسينما لخدمة الثقافة الغربية ولم يسألوا

---

(30) يمنع القانون على الأطفال الذين تقل أعمارهم عن 16 سنة من مشاهدة هذه الأفلام، لما تتركه من آثار نفسية وتربوية وسلوكية سيئة عند الطفل، وعلى الرغم من وجود هذه اللوائح والقوانين لاحظت أن أغلب الذين يرتادون مثل هذه الأفلام السينمائية هم أطفال صغار، في أفواههم لفافات التبغ يدخنون ويعبثون بشتائم ما أنزل الله بها من سلطان دون رادع أو رقيب.

(31) علماً أن تمويل هذه الأفلام من قبل أرباب أعمال مشهورين بعدائهم للعالم الثالث وحنينهم إلى زمن المستعمرات، وهنا يكفي أن تنصب أعمالهم على إنتاج أفلام القسوة والعنف.. وأن هذه الأفلام خالية من الجوانب الاجتماعية المفيدة، ولذلك تجد لإنتاج أمثال هذه الأفلام رؤوس أموال ضخمة وتقنيات عالية، لأن مردودها هو في ضخامة إنتاجها، لأنها أولاً وأخيراً موجهة لأسواق العالم الثالث الذي لا يجد أية صعوبة في تسويق هذه الأفلام وبالعملة الصعبة، في وقت بدت فيه الحاجة الماسة إلى مواد ثقافية ضرورية لتقدم المجتمعات وازدهارها. (انظر): عبد العزيز بوشفيرات، الوحدة، ع163 (نوفمبر 1983)، ص39 ـ 41.

(32) ربما للاعتقاد السائد أن السينما والتلفزيون وسيلة من وسائل التسلية والترفيه، وغاب عنهم أن من مثل هذه الوسائل الترفيهية ما يرتفع بالمرء إلى درجة عالية من درجات التأثير الإيجابي والانفعال بمعاني الشرف والنبل والشهامة، ويشعر الإنسان بإنسانيته كاملة أو قريبة من الكمال، ومن هذه الوسائل الترفيهية ما يهبط بالمرء إلى أدنى درجات التأثر السلبي والانفعال بالمعاني الدنيئة، وإشباع الغرائز الخسيسة والنزول بإنسانية الفرد إلى أحط الدرجات.

أنفسهم يوماً ما عن الآثار السلبية لتلك العروض المستوردة في إفساد المستوى الأخلاقي العام للجمهور؟، أو هل من المحتمل أن تسيء هذه العروض للأطفال أو للاتزان الفكري للجمهور؟ وهل تحافظ هذه العروض على كرامة الأسر والبيوت ما أمكن.. متسببين بذلك في إحداث الفقر الثقافي المؤدي إلى الموت بكل معانيه[33]، وفي هذا الصدد عبر الدكتور مصطفى محمود أحسن تعبير عن هذه الصورة بقوله: «كل ما يتسلسل أمامنا من أحداث هي جرائم قتل وسرقة واختلاس واغتصاب وانحلال وعهر وتبذل، ولكن كل السفالات نراها ملفوفة في أجمل الثياب وأبهى الأزياء وأرق الأجسام وأنور الوجوه وأحلى القدود وأشهى الخدود، وكل ما تقع عليه العين في المسلسل نظيف ولامع وباهر ومتألق وجذاب وخلاب، فلا نملك إلا أن نبتلع الجرعة بما فيها من سموم، ونحتضن المضمون بما فيه من انحلال دون أن نفطن إليه، ويتمنى الساذج منا أن يكون مثل هؤلاء الأبطال، وأن يمتلك مثل تلك البيوت، ويرتدي مثل تلك الثياب، ويعيش في تلك الوفرة ويستمتع بذلك الثراء، وهكذا يأكل الطُّعم الذي يهدف إليه هذا اللون من الفن، والطُّعم هو أن تحتال وتسرق وتقتل وتخون وتكذب وتطعن في الظهر وتتآمر في الظلام، مثلما يفعل الأبطال الذين تراهم لتكون لك تلك الوفرة وتلك المتع ولتعيش حياة فيها ذلك البريق، ويغرق الأبطال في تلك السفالات مع أنهم بخير وأصحاب ملايين، ويمرحون في النعمة والرزق الوفير والمال الكثير، ولكن هذا ضروري لمثل تلك الفنون، فمن الضروري أن يكون المجرم أنيقاً ومهذباً ومعطراً وعنده يخت وأسطول سيارات، وفي جيبه مليون جنيه ليبدو في عينك نموذجاً ومثالاً تشتهيه، ولا يجوز أن يكون مثل مجرمي الصعيد الحفاة المطاردين من البوليس... هم لا يريدونك أن تخرج بعبرة، بل يريدونك أن تتقمص تلك الشخصية الإجرامية في حب وعشق

(33) علماً أن أوروبا استطاعت بعد الحرب العالمية الثانية استخدام السينما لأغراض أخرى غير الأغراض الإعلامية والثقافية، حيث استخدمت وسيلةً من وسائل التعليم في المدارس والمعاهد، فأحدثت بذلك انقلاباً هائلاً في تاريخ التربية، وفتحت مجالات عديدة في التعليم. (راجع): د. عبد اللطيف حمزة، الإعلام والدعاية، ص69، 70.

وتذوب فيها، يريدون أن يستلوا منك هويتك ويلبسوك هويتهم، وأن تلبس ثوبهم بمزاجك واختيارك، وهذا هم التنويم الثقافي الرفيع الشيك، ولو ارتفع صوت ينتقد هذا اللون من المسلسلات فسوف يخرج عليه مليون صوت يرجمونه بالحجارة ويتهمونه بالرجعية والتخلف والانغلاق والتحجر، وسوف تنتقض قبيلة من النقاد الأكابر يدافعون عن حرية الفن وحرية الإبداع وحرية الخلق. . . . »[34].

أما عن صورة العربي في السينما الأمريكية والأوروبية فتعددت موضوعاتها وتكررت في أكثر من عمل فني، حيث لم يكن الهدف التجاري وحده هو السبب وراء التكرار، بل فيه دوافع أيديولوجية وسياسية[35]، ومحاولة استغلال نجاح بعض الأفلام لترسيخ الملامح الشائعة عن العرب، ومن النماذج التي تكرر إنتاجها: فيلم (قسمت) عن أجواء الجواري والحريم (1920ف ألمانيا، 1931ف، 1944ف، 1955ف)، و(لص بغداد) USA عن أجواء ألف ليلة

---

(34) د. محمد سيد محمد، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، مرجع سابق، ص94. عن د. مصطفى محمود، جريدة الأهرام بتاريخ 18/ 4/ 1992.

(35) يحلل مالك بن نبي في هذا الصدد بصفة عامة صورة (الشرق) في الذهن الغربي التي تتجلى من خلال عاطفة متعالية ومطلقة تعبر عن شعور الغرب نحو نفسه ونحو الآخرين، حيث يقول: « . . فإن التعالي المطلق ليس ـ فيما يخص الحقل الفكري على الأقل ـ واقعاً خاصاً بطبقة معينة، إذ إن الفرد الأوروبي يحمل جراثيم هذه الكبرياء دائماً؛ لأنه يتلقاها من الجو الأمومي الذي يتكون فيه منذ الطفولة، ويتكون فيه تصوره للعالم وللإنسانية، فهو يعتمد على وجه الخصوص أن التاريخ والحضارة يبدأان من أثينا ويمران على روما، ثم يختفيان فجأة من الوجود لمدة ألف سنة، ثم يظهران من جديد بباريس في حركة النهضة، أما قبل أثينا فليس شيء يذكر في ذهن هذا الفرد المشحون بالكبرياء الذي لا يرى بين أرسطو ودكارت إلا الفراغ. . » وفي موضع آخر يزيد مالك بن نبي هذه الفكرة تحليلاً وتوضيحاً بقوله: « . . وفي رحلات العرب إبان العصر الذهبي، مثل رحلات ابن بطوطة والمسعودي وأبي الفداء، فإننا لا نجد فيما يكتبون عن الشعوب والقبائل البدائية المكتشفة أي ثرثرة تشوه إنسانية هذه الشعوب، ولا نرى في اتصالهم بها أي آثار للكبرياء في علاقات الإنسان المتحضر العربي إزاء الإنسان البدائي، ولا نجد فيما كتبه الرحالة العرب المصطلحات الدارجة التي تعبر عن الإنسان بالتشويه والسخرية والاحتقار، مثل العبارات التي أوجدتها لغة الاستعمار للتعبير عن الإنسان المستعمر. . فشرف الإنسان محرم في الإسلام حتى في الصورة التي عليها ملامحه في قطعة من الورق، فالمسلم يستحيي أن يستعمل هذه القطعة للاستبراء. . » مالك بن نبي، في مهب المعركة، ص187، 179، 182.

وليلة، وبطش الحكام العرب 1924، 1940، 1961، 1984، 1987، (عرض في التلفزيون الوطني الجزائري أكثر من مرة)، وفيلم (هي أو عائشة) عن أجواء السحر في العالم العربي، أعيد إنتاجه أكثر من عشر مرات منذ 1926، وفيلم (الريشات الأربع) عن البطولات الاستعمارية في مواجهة العربي البدائي، أعيد إنتاجه سبع مرات منذ 1921..[36]، ومنذ فترة الثمانينيّات أصبحت الأفلام السينمائية الغربية تصور الشخصية العربية في شكل زعامات إرهابية[37] خالية من أي شعور إنساني، تشعل نار التخريب والعنف داخل أمريكا، مثل فيلم (تحت الحصار)، بطله لبناني شيعي يقود العمليات الإرهابية ضد الأبرياء، وفيلم (مطلوب حياً أو ميتاً)، وفيلم (عصر الإرهاب) الذي يظهر فيه الليبي محمد وهو يقود مجموعة من الشباب الليبي من أجل تفجير القاعدة النووية في ولاية إنديانا، وعندما تفشل خطته ينطلق في شوارع المدينة، ليجعلها بواسطة الصواريخ ومدفع آر بي جي والرشاشات مقبرة جماعية لكل المارة من الرضع والأطفال والشباب والنساء والكهول، ثم يلجأ إلى حرم جامعة (إنديانا) لتبدأ أحداث مذبحة

---

(36) (انظر): محمد سيد محمد، مرجع سابق، ص106.

(37) الحقيقة أن الإرهاب صناعة غربية، فهم الذين ابتدعوا محاكم التفتيش، وهم الذين ابتدعوا الإبادة العرقية، وهم الذين أشعلوا الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية اللتين راح ضحيتهما عشرات الملايين، وهم الذين ابتدعوا وسائل الدمار الشامل التي تهدد البشرية بالفناء، وهم الذين يمارسون الإرهاب على الدول وعلى الأفراد، ولكنهم اليوم لا يتحدثون عن الإسلام إلا مقترناً بحديث عن الإرهاب، مستشهدين على ذلك بحوادث الإرهاب التي تقع في بعض الدول الإسلامية، وهم يعلمون أن هذه الشرذمة لم تظهر إلا بعد أن قامت المخابرات الأمريكية بتجنيد بعض الشباب من ضعاف الخبرة والثقافة، وشحنهم بأفكار التعصب البغيض الذي يبرأ منه الإسلام، وأشرفت على تدريبهم وتزويدهم بالمال والسلاح، ثم بثتهم في أقطار العالم الإسلامي يعيثون فساداً لكي تخدع العالم وتقول له ها هو الإسلام دين الإرهاب والقتل.. وكل ما يعرف الإسلام يعرف أنه بريء من ذلك، ولا يمكن أن نصف محاكم التفتيش أو الحروب الصليبية، وما تقوم به الألوية الحمراء في إيطاليا ومنظمة الباسك في شبه جزيرة إيبريا، أو ما يقوم به الجيش الجمهوري الأيرلندي السري بأنه تطرف مسيحي أو إرهاب مسيحي، لأن الكل يعلم أن جوهر رسالة السيد المسيح عليه السلام وكل رسالات السماء هي المحبة والإخاء والعدالة والمساواة. راجع خطاب القائد معمر القذافي في مدينة كانو بنيجيريا، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، ص18، 19، 20.

جديدة. . .[38]. وخلال تحريري لهذا الموضوع عرض على الشاشة الوطنية في الجزائر، في إحدى ليالي رمضان المبارك (لما لهذه الكلمة من قداسة واعتبار)، فيلم بعنوان (القرار الحاسم)، بطله رجل عربي يدعى ناجي حسن يختطف طائرة أمريكية من أجل إخلاء سبيل صديق له، وعلى الرغم من تعطُّشهما للدماء فإن أمريكا تتكرم وتخلي سبيلهما، ليبين الفيلم إنسانية الأمريكيين وتفهمهم، وبيان وفاء أمريكا للعهد مع هؤلاء بتسليمهم الرهينة مقابل الإفراج عن الركاب وعدم ملاحقتهم للمختطفين، وفي المقابل ظهر العرب في الفيلم بصورة القذرين الإرهابيين والكاذبين، لا يهمهم سوى الدماء والدمار. لكن الغريب في الأمر ليس ما طرحه الفيلم الأمريكي من صورة مشوهة للعرب، ولكن الغرابة والعتاب على هؤلاء المسؤولين على هذا القطاع بالسماح لمثل هذه السموم ببثها، وفي شهر فضيل[39].

ظاهرة أخرى لا تقل خطراً عن التي سبق الحديث عنها، ظهرت في الآونة الأخيرة، وهي موجة الأفلام العربية السينمائية التي يغلب عليها طابع الإنتاج المشترك، ونعني بهذه الأفلام العربية التي تنتج بتمويل أوروبي، ونخص بالذكر هنا الأفلام العربية التي تنتج في تونس والجزائر والمغرب والتي مهما اختلفت الآراء حولها فإنها تعكس أزمة السينما العربية وأزمة المخرجين، وإذا كانت سياسة الإنتاج المشترك التي يسير فيها مخرجون سينمائيون في مصر والمغرب، العربي، قد أوجدت حلاً مؤقتاً لأزمة تمويل أفلام هؤلاء المخرجين ومشاريعهم السينمائية، فإن هذه السياسة قد بدأت تترك آثارها وبصماتها على نتاج هؤلاء السينمائيين وعلى أطروحاتهم الاجتماعية والفكرية السياسية، ويستطيع أي

---

(38) (راجع): محمد سيد محمد، المرجع السابق، ص107، 108، 109.

(39) إن هذه الصورة لا تتغير، فالمشاهد يرى العرب دائماً مرتكبين لأعمال العنف لا يحبون السلام، ولا يراهم أبداً ضحايا للإرهاب الحاصل مثلاً في فلسطين أو جنوب لبنان أو البوسنة والهرسك أو كوسوفا أو الشيشان. . فالقائمة طويلة والمأساة فظيعة. ولو كان يقدم عقب هذه الأفلام ندوة يستضاف فيها من النخب الثقافية والوطنية حيث يقومون فيها بنقد الأفلام ومراميها المدمرة؛ لما كان العتاب واللوم، لأنها بلا شك، ستخلق لدى المواطن مستوى من الوعي والمناعة تحصنه ضد ما تدسه له تلك المنتجات الإعلامية الغربية من سموم ثقافية وفكرية.

ملاحظ محايد وموضوعي أن يلمس في تلك الأفلام السينمائية العربية الممولة من الغرب طابعاً يكاد يكون مشتركاً بينها وهو الطابع الغرائبي والتشويهي، وكشف خصوصيات اجتماعية لا ضرورة لكشفها وتقديمها للمشاهد الغربي. في إطار مثل هذه الأفلام العربية المنتجة في الخارج نجد أفلاماً تونسية ومصرية وجزائرية ومغربية يسيء بعضها إلى تاريخ الثورة التحريرية مثل الفيلم الجزائري (شرف القبيلة)، وبعضها الآخر يكشف عن مشاهد جد حميمية ولا ضرورة للكشف عنها مثل الفيلم التونسي (عصفور السطح)، وأفلاماً سياسية تُشوِّه صورة المقاومة الشعبية مثل آخر أفلام السوري (محمد ملص)... إن الغرب الممول لمثل هذه الأفلام سواء بتأثير من اللوبي الصهيوني المتغلغل في النظام الأمريكي وفي الدول الأوروبية، أو بدافع من تحيز حضاري غربي على الإسلام والحضارة الإسلامية، التي ما انفك الغرب يوجه لها كل يوم سهامه، ويحاول أن يحصر كل ما قدمته للبشرية في أطر المفاهيم الإرهابية والوحشية والعدوانية، والغرب في مجال هذه الحملة المستعرة على كل ما هو إسلامي وعربي يبحث عن شواهد ومُزَكِّين يدعمون هذه التهم الباطلة، ويؤكدون دعاويه ووجهة نظره، ويغذون في الوقت نفسه إعلامه المعادي، الذي استطاع بما يملك من إمكانيات تقنية متطورة أن يوصل رسالته الملغمة إلى قطاع كبير من شبابنا، ويشوِّه صورة الإنسان العربي المسلم، ويطرحها دائماً مقترنة بالإرهاب وبالدموية والعنف.. هذه المزاعم الخطيرة لم تجد حتى الآن إعلاماً عربياً قوياً ومنسقاً يتصدى لها سواء في الداخل أو في الخارج، أو يعمل على الأقل على فضحها أو تصحيحها السينمائي والإعلامي[40].

وإلى جانب وكالات الأنباء العالمية التي تسيطر على الإعلام العالمي[41]، هناك الإعلام الإعلاني أو الإشهار[42]، وهو نوع من الإعلام

(40) راجع: الأفلام العربية الممولة من الخارج، المجاهد الأسبوعي، العدد 2085، ص14.

(41) (انظر): الزبير سيف الإسلام، تأملات في وسائل الاتصال الجماهيري وضرورة تصفية الاستعمار الإعلامي، ص73.

(42) أنشئت له مؤسسات وشركات ووكالات لاستغلال هذا النوع من الإعلام على غرار الشركات =

المغري الذي يحث القارئ أو المشاهد أو السامع على شراء نوع معين من السلع، والزيادة في الاستهلاك للبضائع التي يعرضها المنتجون والتجار فيقدمها في شكل مغرٍ خلاب[43]، وتشكل البرامج الإخبارية وبرامج التسلية والإعلانات وحدة متكاملة تعمل في خدمة استراتيجية الاحتكارات على الصعيدين المحلي والكوني، فالإعلان لا يستهدف فقط توفير المداخيل الضخمة للمؤسسات الإعلامية، ذلك أن الرسالة الثقافية للإعلان تحظى بعناية البرامج الإعلانية، فهي تربي القيم والحاجات، وتنشط نزعة الاستهلاك داخل المجتمعات على حساب الإنتاج وخاصة في البلدان النامية، والإعلان يفسد الأذواق ويُزَوِّر المعايير؛ إذ يعزز المظهرية على حساب الواجب الاجتماعي ويقيم المكانة الاجتماعية بمعايير الكسب والاستهلاك وبتعهد قيم الفردية والكسب بكل السبل وبأسهل السبل، إنه إيحاء نفسي بالسطحية والجهل، وتنفير من البحث والتحليل وامتلاك المعرفة، يزيف الحاجات والمصالح ويمسخ المثال الاجتماعي إلى وجاهة، والنفسية الاستهلاكية تسمم لدى أفراد المجتمع روح الجماعية والتضحية والتضامن والاهتمام بالآخرين، فهي بذلك خطر محدق بالبشرية جمعاء[44].

وللأسف الشديد فقد انزلقت وسائل إعلامنا ـ سواء في الوطن العربي عموماً أو المغرب العربي خصوصاً، بدرجات متفاوتة ـ انزلاقاً واضحاً في

= أو الوكالات الإعلامية العالمية للأنباء؛ وكما وجدت وكالات الأنباء العالمية دعماً ومؤازرة من الشركات الاحتكارية ذات الجنسيات المتعددة، فإن وكالات الإشهار تعتبر البنت الشرعية لهذه الشركات، بالنظر لمنشئها، وللدعم الذي تخصصه لها سنوياً من أجل الإعلانات عن منتجاتها الصناعية من جهة، وخلق رغبة عند المستهلكين لشرائها والزيادة في الإقبال على المعروضات في الأسواق الاستهلاكية من جهة أخرى.

(43) توضع عدة علامات استفهام حول هذه السلع الاستهلاكية التي تصدرها لنا الدول الغربية، وخاصة على الجانب الصحي للمستهلك، وخاصة إذا علمنا أن هذه السلع الاستهلاكية المخصصة للتصدير ممنوع استهلاكها داخل البلدان المصنعة لتلك السلع، ولقد كشفت حصة بلا حدود في قناة الجزيرة عن بعض هذه الجوانب مع د. مريم نور المتخصصة فيما يسمى بالطب البديل، (مارس 2000ف)..

(44) (انظر): محمد سعيد مضية، مرجع سابق، ص113.

سلبيات الإعلان[45]، وانعكاس الأشكال الغربية للإعلان على إعلاناتنا. ويعتبر الإعلان من أخطر المواقع في الإعلام، حتى اعتبره بعض المحللين الأفق الثقافي الأكثر تأثيراً للقرون القادمة، وهو إحدى القوى المرنة المتحكمة في قيادة الحضارة وتحويل مسارها إلى حيث يريد من الإنتاج الثقافي والمادي على السواء[46].

وتكمن الإشكالية الكبيرة في الإعلان اليوم أيضاً في انفلاته من جميع الضوابط والقيم الأخلاقية، واستباحته لكل شيء يمكن، من الترويج والإثارة والإغراء بالاستهلاك، وكشف المستور والعبث بالعورات، واعتبار ذلك من مستلزمات الفن وأسباب النجاح، وتوظيف جسد المرأة الذي بات المحور الرئيسي للإعلان. والخطورة تكمن اليوم في فلسفة الحضارة الغربية التي تتركز على إشباع الغرائز والشهوات، والفصل بين الأخلاق والجمال، ولذلك نجد أن معظم الإعلانات تشترك في شيء واحد وهو الرقص، أو ما يدخل في باب الرقص، فالرقص أساس الإعلان والتثني و(الدلع) هما بداية الإعلان ومنتهاه ولحمته وسداه، ومن هنا يمكن الزعم بأن الدنيا تبدو راقصة من خلال إعلانات التلفزيون وإن كانت رقصاً بغير بهجة، فلا السلع في مقدورنا ولا وجوه النساء في الحياة اليومية ملونة مثل الوجوه التلفزيونية الراقصة، وبالتالي فهو يدخل في

---

(45) في هذا الصدد يمكن اعتبار التلفزيون الوطني الليبي أكثر التزاماً واحتراماً للمشاهد، وأقل انسياقاً من تلفزيونات الأقطار المغاربية الأخرى، لولا الضعف التقني والإنتاجي والفني.

(46) لقد أظهرت الدراسات التي أجريت عن فروع الوكالات الإعلانية الأجنبية في الدول النامية في عام 1973ف مخاطرها؛ منها الخطورة التي تكمن في كونها تقوم بنشاطاتها تحت شعار الخدمات الإعلانية، وتتستر على أهدافها المختلفة المتعددة حيث إنها تشكل خطراً حقيقياً على أمن أقطار العالم الثالث، خطراً على استقرارها الاقتصادي والسياسي وعلى مشاريعها الإنمائية والثقافية، كما أن المسوحات التي تقوم تارة حول اتجاهات الرأي العام وتارة حول الاستهلاك، ومسوحات حول الأمية والإحصاء السكاني وعدد الإطارات... وهو عمل لا يبتعد كثيراً عن التجسس على الخبرات البشرية الوطنية وعلى القدرات الاقتصادية الوطنية، وكذلك القوى الدفاعية الأمر الذي يؤثر على سياسة البلاد داخلياً وخارجياً. (انظر): توفيق محمد نصر الله، الإعلان هو الأفق الثقافي الأكثر تأثيراً في القرون القادمة، العالم الإسلامي، 4 ـ 10 أكتوبر 1999، ص11. (انظر أيضاً): الزبير سيف الإسلام، مرجع سابق، ص78، 79.

باب النصب والاحتيال وتخريب العقول، وهو يتناقض مع الدين ومع العلم؛ ولقد تقرر من خلال الدراسات التي عالجت هذا الموضوع بالذات بأن خطر الشركات ذات الجنسيات المتعددة المتلبسة برداء وكالات الإعلانات التجارية يمكن فيما تنشره من خلال هذه الإعلانات من أنماط استهلاكية وثقافية. . غالباً ما تكون رأسمالية، وبالتالي فهي تهدد الأنماط الاستهلاكية والتقاليد الوطنية والعادات الاجتماعية والثقافات السائدة في العالم الثالث. للأسف ـ مع سطوة الشركات المتعددة الجنسيات وسطوة الاحتكارات ـ[47]، أصبح للإعلان قوة بالغة في تشويه الذوق في بلداننا وتشويه، العقول، وإثارة الغرائز والنهم إلى نمط الحياة الغربية وطرق استهلاكها، بدل أن نوجهه نحن وجهة تساهم في بث القيم التعليمية والتربوية والمستقبلية، فيعلمهم كيف يحافظون على صحتهم وسلامتهم وكيف يوظفون أموالهم ويستثمرون مدخراتهم، وكيف يتعاملون مع السلع والخدمات والتسهيلات والمنشآت، وكيف يرتفعون بمستواهم العلمي والثقافي والتربوي للتعامل الحضاري[48].

وأمام هذه القوة المادية المالية والتكنولوجية يتساءل المرء: هل توجد وسيلة في المغرب العربي ـ المتشرذم على نفسه ـ يمكن استعمالها في مواجهة الغزو الإعلاني ـ الإعلامي الغربي؟ أشك في وجود جواب عن هذا السؤال، وأشك في وجود وسيلة ما تفي بالغرض في الظرف الراهن؛ إلا إذا تكتلت

---

(47) مع تنامي الدورة الاقتصادية الغربية اندفع الرأسماليون بدوافع تصريف بضائعها المكدسة، وطمعاً في استمرارية عجلة إنتاجها وزيادة أرباحها الربوية الاحتكارية، إلى إيجاد وسائل سريعة ومؤثرة وفاعلة، تحمل جمهور المستهلكين الحقيقيين والمرتقبين بسرعة وتلقائية وباندفاع استهلاكي، لاقتناء تلك السلع دون أدنى تفكير في احتياجاتها ومتطلباتها، فلم تجد وسيلة بيعية وإشهارية مناسبة لها سوى فن الإعلان.

(48) (راجع): العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص11. (راجع أيضاً): محمد سيد محمد، مرجع سابق، ص109 ـ 113. تفاصيل حول موضوع الإعلان (راجع): د. أحمد عيساوي، الإعلان من منظور إسلامي، كتاب الأمة، ع71، جمادى الأولى 1420 هجري، قطر. وعن الإعلام الإسلامي راجع د. محمد سيد محمد، المسؤولية الإعلامية في الإسلام. وعن الإعلام الجديد راجع د. مصطفى المصمودي، النظام الإعلامي الجديد، عالم المعرفة ص94.

الطاقات الفكرية والثقافية في حركة تضامنية لحماية مجتمعاتها من الأنماط الحياتية التي تحاول الإعلانات إدخالها علينا.

والخلاصة في الموضوع يمكن القول: إن النظام السمعي البصري اليوم هو الأداة الأساسية للنظام الثقافي المسيطر، وإن هذا النظام ليس مجرد تقنية للتلقين فحسب بل هو كيفية جديدة لوعي العالم والتعبير عنه، وإن هذا الوعي الجديد يساهم في إنشاء قيم لا تقوم بأي صلة بينها وبين النظام الاجتماعي. إن هيمنة الثقافة الأجنبية على وسائلنا الإعلامية ومحتواها أدت إلى جعل مضمون وسائل الإعلام العربية يساهم بصورة عامة في تغريب المواطن عن مجتمعه، بدل تسهيل مشاركته في أمور هذا المجتمع، يتم هذا التغريب عن طريق تقديم مضمون إعلامي يشعر المواطن بأن لا صلة تربطه مع ما يراه على صفحات صُحُفِه أو قنوات تلفزيونه من مضمون، والمواطن يشعر بأن ما تعطيه إياه هذه الوسائل من مضمون، غير واقعي، وفي حال قبوله بما تعطيه إياه هذه الوسائل يرى نفسه مندفعاً للثورة على قيمه وطرق معيشته، فيصبح غريباً عن مجتمعه وحتى عن نفسه، وتلعب وسائل الإعلام أيضاً دوراً كبيراً في إلهاء المواطن عن مشاكله عن طريق تحويل أنظاره عن المشاكل الاجتماعية والقومية الحقيقية إلى مشاكل ثانوية مستوردة من خارج مجتمعه.

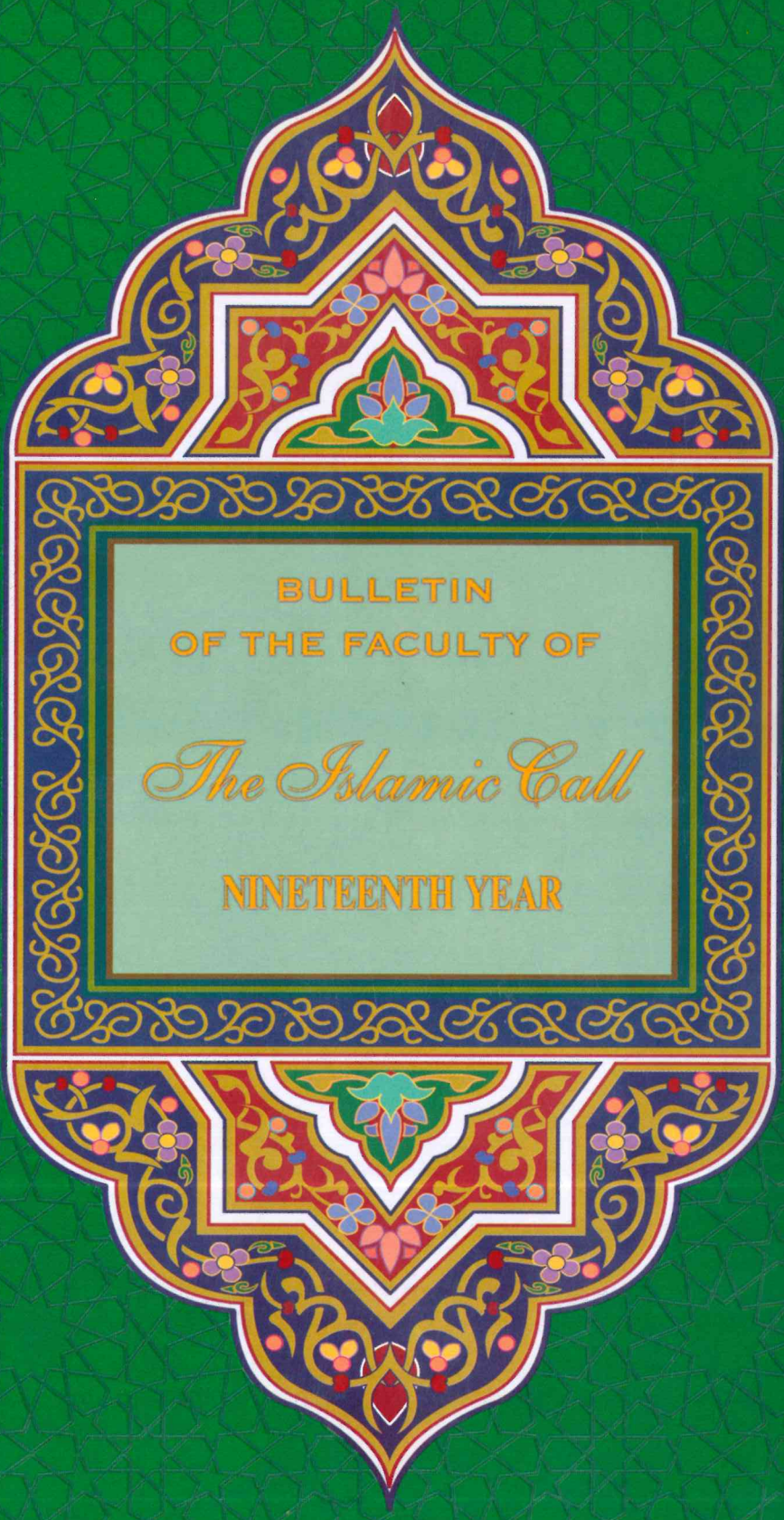
BULLETIN
OF THE FACULTY OF
The Islamic Call
NINETEENTH YEAR